تعقیبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في مباحث علوم القرآن

Rectifications of Tafseer al Manaar on Tafseer Mafateeh al Ghaib and Tafseer al Jalalain in the discourses of Qur'anic Sciences

*سعدية كل

Abstract

This study aims to cumulate and evaluate the commentary of Muhammad Rashīd Ridhā, in his famous exegetical enterprise "Al-Manār" on the Qurānic exegeses of both of Al-Rāzi and Jalālayn. Ridhā primarily comments on credential, legislative and linguistic errors of both of the commentators including their oversights in the sciences of the Qurān (Ulūm Al-Qurān). The present study is confined to his examination of the commentaries of both AL-Rāzi and Jalālayn in Ulūm Al-Qurān. It is focused on collection, arrangement and subsequent classification of the themes like occasions of revelation, abrogation, relevance of occurrence, and ambiguities. The study is a comparative and analytical research in the light of textual and rational arguments.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجاً، قيماً لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يتطرق إليه تحريف ولاتبديل، ولا يميل به عن الجادة الباطل. والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم، المؤيد بالقرآن معجزة عظمى،وآية باقية على وجه الدهر، الموكول إليه بيانه وتفسيره، فقال:(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)[1].

هذا وكما هو معلوم لدينا أنه لم ينل كتاب من الإهتمام كما ناله القرآن الكريم ، ولم يقدم كتاب من الهدي والخير للبشرية مثلما قدمه القرآن الحكيم، كيف لا والقرآن كتاب الإنسانية ومعجزة دينها الخالد. وقد آمن المسلمون بهذه الحقيقة قديماً وحديثاً ودار جهدهم الثقافي ونشاطهم العلمي في شرح القرآن وتفسيره.

وكان من اهتمام العلماء بالتفسير أنهم نقلوا أقوال سابقيهم من المفسرين ونقدوها وبينوا صحيحها من سقيمها وكملوا نقصها وهذا يعرف عند العلماء بالتعقيبات ، فإن جمع هذه التعقيبات ودراستها تبرز لنا أن مؤلفات التفسير ليست جامدة تذكر قول من سبقها بدون مناقشة . ومن المفسرين الذين لم يكتفوا بالنقل عمن قبلهم ولكن قاموا بالتمحيص والتدقيق لهذه الأقوال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره المعروف ب "المنار" فقد كان له تعقبات على الإمام الرازي والجلالين فأحببت أن أدرس في مقالتي هذه "تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في مباحث علوم القرآن" واسأل الله العلي القدير أن يبارك لي في عملي هذا ، ويوفقني لما فيه الصواب، ويجنبي من الخطأ فيه، إنه مجيب الدعاء.

وقد قسمت البحث إلى تمهيد ومبحث أول:

* محاضرة بقسم التفسير وعلوم القرآن الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

التمهيد :التعريف بالشيخ محمد رشيد رضا،والتعريف بتفسيره"المنار".

1. التعريف بمحمد رشيد رضا.
2. التعريف بتفسير المنار.
3. بيان معنى التعقيب.

المبحث الأول: تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في مباحث علوم القرآن.

المطلب الأول: تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في أسباب النزول.
المطلب الثاني: تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في الناسخ والمنسوخ.
المطلب الثالث: تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في الخاص والعام.
المطلب الرابع: تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في مبهمات القرآن.

التمهيد :التعريف بالشيخ محمد رشيد رضا،والتعريف بتفسيره"المنار".

أولاً: التعريف بمؤلف "تفسير المنار".

اسمه ونسبه:

هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني[2] البغدادي الأصل، الحسيني النسب.[3]

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد الشيخ محمد رشيد رضا يوم الأربعاء 27 جمادي الأولى 1282م الموافق 18 تشرين الأول سنة 1865م في قرية قلمون على شاطئ البحر المتوسط، جنوب طرابلس الشام، نشأ في هذه القرية، وتعلم فيها قراءة القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب.[4]

ثم دخل المدرسة الرشيدية بطرابلس الشام، وهي ابتدائية تابعة للدولة العثمانية، فتركها والتحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية، وكانت تدرس العلوم الشرعية والعربية والمنطق والرياضيات والفلسفة، وهي مدرسة أنشأها الشيخ حسين الجسر[5] وقد تأثر بأسلوبها، لأنه كان يسلك فيها أسلوباً حديثاً غير الأسلوب الأزهري من إيثار الجانب المنقول على الجانب المعقول، والجنوح إلى طريقة التوسع في المقاصد من العلوم الدينية عن طريق التعمق في الوسائل والآلات مع الإلتزام بالطريقة الصوفية[6].هذه النشأة السلفية الصوفية وجهت محمد رشيد رضا من تغيير المنكر، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى إصلاح حال المسلمين ، إلا أن هذا التكوين الأصلي (النقلي الأثري) للشيخ قد تغير بعد الإلتقاء بالأستاذ محمد عبده الذي كان تكونه بحثياً نظرياً على طريقة المتأخرين، فلم يكن الأستاذ يحفل بالناحية الأثرية ولا يولي إهتماماً للأخبار وطرق تخريجها، ولا يعتمد في تفسير الآيات على الأخبار المتصلة، بل يستعمل العقل في مسائل الدين وفهم الآيات القر انية، لأنه الركن الأساسي في هذه المدرسة التي تعرف بالمدرسة العقلية، ولكن لما استقل الشيخ محمد رشيد رضا بالعمل بدأ هواه الأول للعلوم النقلية الأثرية يعاوده ويأخذ به، فمال إلي هذه الطريقة وتتبع رجالها.[7]

وقد نبغ محمد رشيد رضا في مختلف فنون العلم والتمس في شيوخه الوقار والتواضع، وحسن الأخلاق وكمال الأدب فتأثر بهم، وحبب إليه التصوف وذلك نتيجة القراءة المكثفة لكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، الذي اثر في تفكيره حتى صار ينعكف على العبادة[8] .

شيوخه وأساتذته :

كان لتوجيه الأساتذة وتعليمهم أكبر الأثر في حياة محمد رشيد رضا، فقد أخذ عنهم علوم الحديث والفقه والأدب والبلاغة، فمن هؤلاء الجهابذة والأفذاذ:

1. الشيخ حسين بن محمد بن مصطفى الجسر: وهو أحد علماء الشام، أديب، صحافي، أنشأ جريدة "طرابلس"، من آثاره:"الرسالة الحميدية"، وتوفي بطرابلس الشام سنة 1327هـ.[9]
2. **الشيخ محمد عبده:** مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد، عمل في التعليم وكتب في الصحف، وأخرج جريدة"العروة الوثقى" -التي من خلالها أعجب محمد رشيد رضا بهذه الشخصية إعجاباً بالغا وساهمت في تغيير تفكيره - وألف كتباً منها:"تفسير القرآن الكريم"،"رسالة التوحيد"،"الإسلام والرد على منتقديه" وغيرها، توفي سنة 1323هـ.
3. **محمود بن محمد بن عبد الدائم نشابة:** من أهل طرابلس الشام، تعلم بمصر، من كتبه:"نثر الدراري"،"تعليق على شرح الصنادي"،"حاشية على شرح الفناري" وغيرها ، أخذ عنه محمد رشيد رضا الحديث وفقه الشافعي[10].

تلامذته:

ذاع ذكر محمد رشيد رضا في عصره، فتخرج على يده عدد من الرجال الداعين إلى الله ومنهم:

1. **السيد حسين والي** : هو حسين بن حسين بن إبراهيم بن إسماعيل بن وهدان والي الحسيني، من أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر. ولد في بلدة ميت أبي عليّ بالشرقية، وتخرج بالأزهر، ودرّس فيه ثم في مدرسة القضاء الشرعي، وعين مفتشا عاما للأزهر والمعاهد الدينية، فوكيلا لمعهد طنطا، فكاتبا للسر العام في الأزهر، ثم كان من أعضاء هيئة كبار العلماء، فمن أعضاء مجلس الشيوخ. له كتب، منها : أدب البحث والمناظرة، الاشتقاق، رسالة التوحيد، رسائل الإملاء.[11]
2. أحمد زناتي: مدرس مصري. اختاره الخديوي عباس مدرسا لابنائه، ثم معاونا فى ديوانه. وفي سنة 1913 نقل إلى وزارة المعارف مدرسا فوكيلا للوزارة سنة 1923، واستمر إلى أن توفي. له من الكتب "الصراط المستقيم" طبع، في تفسير بعض الآيات، "الهداية إلى الصراط المستقيم"[12].

3- **عبد الوهاب بن احمد النجار.**

ولد في بلدة القرشية فقيه ومؤرخ مصري، وتعلم بها، ثم في طنطا، وانتقل إلى القاهرة، فتخرج بمدرسة دار العلوم، واشتغل بالمحاماة الشرعية، واشتغل بالتدريس في كثير من المدارس، واشترك في أكثر الجمعيات الإسلامية، وفي مقدمتها جمعية الشبان المسلمين، وتوفي بالقاهرة، من كتبه: قصص الانبياء، تاريخ الخلفاء الراشدين، مذكرات عن الهند، زهرة التاريخ، والأيام الحمراء .[13]

رحلاته:

هاجر الشيخ إلى مصر، وفيها التقى بمحمد عبده وانشأ مجلة المنار، ثم قصد سوريا وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري، وغادرها على إثر دخول الفرنسين إليها، ثم عاد إلى مصر وأقام بها مدة، ورحل أيضاً إلى الهند والحجاز وأوربا.

آراء العلماء في الشيخ محمد رشيد رضا:

يقول الأمير شكيب أرسلان:"مما لاشك أن الأستاذ الأكبر-محمد رشيد رضا-انتهت إليه الرئاسة في الإحاطة والرجاحة وسعة الفكروالرواية، ولا يدانيه فيه مدان مع الرسوخ العظيم في اللغة والطبع الريان من العربية، والقلم السيال بالفوائد في

مثل نسق الفرائد، والخبرة بطبائع العمران واحوال المجتمع الإنساني ومناهج المدنية، له من المواقف الشريفة في النضال الديني عن الإسلام والمراماة عن عقيدته الصافية...".[14]

ويتحدث صاحب"الأعلام" عن محمد رشيد رضا قائلاً:"صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب، والعلماءبالحديث والأدب والتاريخ والتفسير".[15]

مؤلفاته:

وكان للشيخ نصيب كبير في الكتابة والتأليف، نكتفي بذكر بعض مؤلفاته:

1. تفسير القرآن الحكيم.
2. تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده.
3. نداء للجنس اللطيف.
4. الوحي المحمدي.
5. الخلافة.
6. الوهابيون والحجاز.

وفاته:

خرج الشيخ محمد رشيد رضا لوداع الأمير سعود في السويس وفي أثناء عودته بالسيارة يوم 23 جمادي الأول 1304هـ، وحين كان يقرأ القرآن فجأة شعر مرافقوه بسكوته واتكائه على ظهره ، وقد كان قد فارق الحياة ودفن بجوار أستاذه محمد عبده.[16]

ثانياً:التعريف المؤجز ب"تفسير المنار":

يسمى هذا التفسير باسم "تفسير القرآن الحكيم" ولكنه اشتهر باسم "تفسير المنار" إشارة إلى صلته ونشره بمجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا، وفكرة تأليف هذا التفسير إنما ترجع إلى ذلك اللقاء الذي حدث بين هذا الشيخ وأستاذه محمد عبده، حيث اقترح على أستاذه أن يكتب تفسيراً للقرآن على نهج ما كان يكتب في جريدة "العروة الوثقى"، وبعد أخذ ورد بين الشيخين، اقتنع الإمام محمد عبده بإلقاء دروس في التفسير بالجامع الأزهر، ولم يلبث إلا قليلاً حتى قام بتنفيذ

ما أشار عليه تلميذه، وقام بإلقاء دروس التفسير ، وألزم الناس لهذه الدروس ، وأحرصهم على تلقيها وضبطها هو الشيخ محمد رشيد رضا، فكان يكتب ما يسمع من أستاذه ويزيد عليه بعض الزيادات، فلم يكن كله نقلاً عنه ومعزواً إليه، بل كان تفسيراً له واقتباساً من دروس أستاذه، فقد كان يخصص كلامه بقوله"قال الأستاذ الإمام"، "وفيما معناه" أو"ما مثاله" أو"ما ملخصه" ويميز زيادته التي أقر عليها أستاذه ب"أقول" وهناك زيادات أضافها بعد وفاة أستاذه"أقول الآن" أو "أزيد الآن" .[17]

سبب تأليف التفسير :

كان غرض الشيخ محمد رشيد رضا من تأليف هذا التفسير مثلما كان غرض أستاذه محمد عبده، فالتفسير الذي قصده الأستاذ وتلميذه هو:فهم كتاب الله من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، وأن حشو التفسير بالفنون المختلفة، والموضوعات المتعددة، والإسرائليات، ما يصرف الناس عن أصل مقصد القرآن وهو الهداية[18]. وهذا ما ذكره في مقدمة تفسيره حيث قال:"كانت الحاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى

هداية القرآن على الوجه الذي تتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه، وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح"[19].

وهذا التفسير مطبوع في اثني عشر مجلداً كباراً، بدئ فيه بمقدمة مطولة تناول فيها الموضوعات التالية:

بيان الآيات في صفة القرآن ، نداء المسلمين وتذكيرهم بكتاب ربهم، بيان الحاجة إلى هذا التفسير، سيادة العرب بإصلاح أنفسهم بالقرآن، وما في التفاسير من الشواغل عن هداية القرآن كمباحث الإعراب،ومصطلحات البيان،وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء،وكثرة الروايات وادخال الإسرائيليات فيها، الحديث عن التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، تأثر محمد رشيد ببعض مقالات جريدة "العروة الوثقى"، كيفية اتصاله بأستاذه محمد عبده وعرضه عليه تفسير القرآن،بيانه لكيفية كتابة هذا التفسير.

منهج الشيخ محمد رشيد رضا في"تفسير المنار" بإيجاز:

انتهج محمد رشيد رضا منهج شيخه في التفسير، فقد كانت روح الإمام ممزوجة بروح تلميذه. فطريقة الأستاذ وهدفه ومصادره وأفكاره هي نفس طريقة تلميذه وهدفه وأفكاره ، لافرق بين الرجلين إلا فيما هو قليل. سار على نهج أستاذه من التوسع فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون، واختصار فيما برز فيه هؤلاء من مباحث الألفاظ، والإعراب، ونكت البلاغة، وترك الروايات الكثيرة والخرافات الإسرائيلية، والإعراض عن جدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين.[20]

وما ذكر من المباحث التفسيرية كان الإهتمام بها في هذا التفسير بمقدار الضرورة ، فمثلاً المفسر يبين من وجوه البلاغة وضروب الإعراب بقدر ما يحتمله المعنى، وعلى الوجه الذي يليق بفصاحة القرآن وبلاغته، وذلك دون أن يتجاوز مقدار الحاجة.[21]

ولكن الشيخ محمد رشيد رضا لم يستمر على طريقة أستاذه وسرعان ما خالفه بعد وفاته، وقد صرح بذلك بقوله:" وإنني استقللت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه-رحمه الله تعالى- بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، والجمل اللغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الإستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها"[22].

ومما سبق ذكره يمكن تقسيم تفسير محمد رشيد رضا إلى قسمين[23]:

القسم الأول: كتابة التفسير قبل وفاة شيخه محمد عبده.

يتصف هذا القسم بقلة التفسير بالمأثور وظهور التفسير بالرأي والتحكيم العقلي، وبيان سنن الله في المجتمعات، والإصلاح الإجتماعي.

القسم الثاني: كتابة التفسير بعد وفاة شيخه.

ففي هذا القسم استقل الشيخ رشيد رضا بشخصيته وهذا من خلال العناية بالتفسير بالمأثور وكثرة الإستشهاد والاستدلال بالأحاديث.

وهنا يجدر بنا أن نلخص منهجه في "تفسير المنار" في النقاط التالية:

1. بيان معنى القرآن وطرق الاهتداء به وذلك من خلال الاستعانة ببعض آيات القرآن على فهم آخر، وببيان سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة والتابعين، وبأساليب لغة العرب، والتحرر من تقليد المفسرين إلا ما دعت الحاجة إليه.

2. تقديم ظاهر سياق النظم القرآني على أسباب النزول، لإنكاره على الذين يتعلقون بأسباب النزول على حساب النظم القرآني ، ويرى أن إلتماس السبب لكل آية يجعل القرآن عضين متفرقة[24]. بينما أستاذه يرى أن أسباب النزول يحتاج إليها في آيات الأحكام دون آيات المقررة للتوحيد[25].
3. عنى صاحب المنار في تفسيره بذكر المسائل الفقهية واراء الفقهاء فيها، ولكنه خالف الجمهور في بعض هذه المسائل[26].
4. تعرض الشيخ في تفسيره للمسائل العقدية كالإلهيات، فإنه في مبحث الصفات لا يلجأ إلى تأويل آيات الصفات [27]. بل يتبع مذهب السلف (التفويض) ولكنه يخالفه في بعض الأحيان [28]. وناقش أيضاً قضايا النبوات والسمعيات.
5. توسع الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره في المسائل الإجتماعية، ولم يدفعه إلى ذلك إلا كونه رجلاً صحفياً، اتصل عن طريق مجلته بالناس على إختلاف منازعهم ومشاربهم...فأراد أن يتمشى بكتابته مع الجميع ، فيثبت المقتدي على دينه، ويرد الملحد عن إلحاده، ويكشف محاسن الإسلام...[29].

بعض آراء صاحب المنار في التفسير[30] :

يزخر تفسير المنار ببعض الآراء القائمة على حرية الرأي، وعدم التقييد ببعض المسلمات، فمن هذه الآراء ما كان له أثر على سير علم التفسير، ومنها ما كان له آثار إصلاحية في الأمة، ومنها ما لا يخلو من الشطط والزلل، نلخص هذه الآراء في النقاط التالية:

1. إطلاق الإجتهاد ونبذ التقليد: يرى صاحب المنار أن الإسلام يتميز بكونه قائماً على العقل بخلاف الأديان الأخرى[31]. فالتقليد مذموم في الدين، لأنه يلغي العقل ويتجاوز النقل، والله سبحانه لم يخاطب بالقرآن إلا أصحاب العقول المتحررة من كل رأي مسبق ومن كل تقليد[32].
2. القول بخلود صاحب الكبيرة في النار.
3. اعتبار السحر ضرباً من التمويه والخداع، وليس له حقيقة ، مخالفاً في ذلك لأهل السنة والجماعة.
4. إثارة بعض الشبه حول وقوع بعض المعجزات والكرامات.
5. إنكار تعدد الزوجات.
6. مخالفة الجمهور في كثير من المسائل الفقهية .
7. ذكر الإسرائيليات مع شدة النكير على المفسرين الذين يملون تفاسيرهم بها.
8. تعريف الملائكة والجن بتعريف مخالف للكتاب والسنة.

وأخيراً، لايفوتنا أن نذكر أن هذا التفسير مع هذا فقد اشتمل على الآراء المحمودة في الدفاع عن الإسلام والقرآن، وكشف عما أحاط بهما من شكوك وشبهات، ومحاربة البدع وكشف عوارها، والإرشاد إلى علاجها.وإلى جانب هذا يناقش المسائل الإجتماعية ومشاكل الأمة الإسلامية بصورة دقيقة مستعيناً بالقرآن والسنة المطهرة.

ثالثا:بيان معنى التعقيب:

التعقيب لغة: جاء في "مقاييس اللغة: العين والقاف والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، والأصل الآخر يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة.[33]

وجاء فيه أيضاً:كل شيء يعقب شيئا فهو عقيبه، كقولك خلف يخلف، بمنزلة الليل والنهار إذا مضى أحدهما عقب الآخر. وهما عقيبان، كل واحد منهما عقيب صاحبه.[34]

وجاء في"تهذيب اللغة": كل من عمل عملا ثم عاد إليه فقد عقب؛ ومنه قيل للذي يغزو غزوا بعد غزو، وللذي يتقاضى الدين فيعود إلى غريمه في تقاضيه: معقب.[35]

وذكر في"الصحاح": عقب في الأمر، إذا تردد في طلبه مجداً، والتعقيب في الصلاة: الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة. وأعقبه بطاعته، أي جازاه. والعقبى: جزاء الأمر. وأعقب الرجل، إذا مات وخلف عقبا، أي ولداً.[36]

ووقع في"مفردات غريب القرآن": التَّعْقيبُ: أن يأتي بشيء بعد آخر، يقال: عَقَّبَ الفرسُ في عدوه. وقال تعالى: (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ)[37] ، أي: ملائكة يتعاقبون عليه حافظين له. وقوله:(لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ)[38] ، أي: لا أحد يتعقّبه ويبحث عن فعله، من قولهم: عَقَّبَ الحاكم على حكم من قبله: إذا تتبّعه.[39]

وجاء في"لسان العرب": وأعقب الرجل إعقاباً إذا رجع من شر إلى خير. واستعقبت الرجل، وتعقبته إذا طلبت عورته وعثرته. وتقول: أخذت من أسيري عقبة إذا أخذت منه بدلا. وعقب في أثر الرجل بما يكره يعقب عقبا: تناوله بما يكره ووقع فيه. وتعقبت الرجل إذا أخذته بذنب كان منه. وتعقبت عن الخبر إذا شككت فيه، وعدت للسؤال عنه .[40]

معنى التعقيب في البحث :

رأينا أن المعاني التي ذكرتها المعاجم في بيان معنى التعقيب تدور حول :

1- تأخير الشئ وإتيانه بعد غيره .

2- أن يعمل عملاً ثم يعود إليه.

3- الوقوف على عثرة الآخر بمعنى أخذه بذنب صدر منه .

فمعنى التعقيب الذي نتناوله في هذا البحث هو المعنى الثالث وذلك أن كل ما كان من رد من صاحب المنار على مفاتيح الغيب للرازي والجلالين في مسائل علوم القرآن هو المقصود بالدراسة

المبحث الأول: تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في مباحث علوم القرآن

المطلب الأول: تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في أسباب النزول:

معنى سبب النزول:

هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه مبينة لحكمه أيام وقوعه.[41]

فمعرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يعرف سبب نزولها، وبيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة.[42]

المثال الأول :

قوله تعالى:(لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ)[43].

ذكر الإمام السيوطي أن هذه الآية نزلت رداً على اليهود والنصارى حين زعموا ذلك.[44]

رد صاحب المنار ما ذهب إليه الإمام السيوطي واعتبره من ادعائه الذي لم يثبت، ثم قال:" إن الصحيح قريب من هذا

، وهو أن أهل الكتاب أكبروا أمر تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، وطال خوضهم فيها حتى شغلوا المسلمين بها. فكانوا يرون أن الصلاة إلى غير قبلتهم لا تقبل عند الله تعالى ، والمسلمون يرون أن الصلاة إلى المسجد الحرام هو كل شئ، فبين الله في هذه الآية للناس كافة أن مجرد تولية الوجه قبله مخصوصة ليس هو البر المقصود من الدين، ولكن البر هو الإيمان بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين.[45]

مناقشة صاحب المنار:

إن الإمام السيوطي يرى بأن هذه الآية نزلت للرد على اليهود والنصارى، بينما صاحب المنار يرجح نزولها للرد على أهل الكتاب والمسلمين حيث تمسك كل منهما بالجهة التي يصلي إليها، ويرى أن الصلاة إلى غير جهته لا تقبل عند الله تعالى .فكلا القولين يدور حول نقطة واحدة ، وهي أن مجرد تولية الوجه قبلة مخصوصة ليس هو البر المقصود، ولكن البر كما بينه الله عز وجل هو الإيمان بالله...الخ. واختلفا في الفئة التي من أجلها نزلت الآية.

والذي يظهر أن قول الإمام السيوطي هو الراجح، وذلك لأن أكثر المفسرين[46] تناولوها بالذكر، ورجحه شيخ المفسرين الإمام الطبري حيث قال:" المقصود من قوله تعالى:(لَّيْسَ ٱلْبِرَّ) اليهود والنصارى لأن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم، ولومهم، والخبر عنهم ، وما أعد لهم من أليم العذاب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر..."[47].

والسبب الأخر في ترجيح قول الإمام السيوطي أنه مؤيد بروايات وإن كانت مرسلة[48]، ولكن بعضها تقوى البعض الآخر.وليس هذا من ادعائه كما زعم صاحب المنار ، بل قوله الذي لم يثبت برواية يستحق أن يقال عليه أنه ادعاء غير ثابت. والله أعلم بالصواب.

المثال الثاني :

قوله تعالى:(ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ)[49].

ذكر الإمام الرازي عدة روايات في سبب نزول هذه الآية ورجح منها واحدة، وهي:

عن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال:{لما نزلت الآية الأولى :(ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[50] في المنافقين، قالوا: يارسول الله! استغفر لنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"سأستغفر لكم"، واشتغل بالإستغفار لهم فنزلت ، فترك الإستغفار}[51].

والذي جعل الإمام الرازي يرجح هذا السبب لأنه يصل هذه الآية بما قبلها.

وهنا يأتي صاحب المنار ويعترض على هذه الرواية قائلاً:"وهذه الرواية لم نرها في كتب التفسير المأثور، فلا ندري من أين جاء بها الرازي؟ وهو لم يعزها إلى أحد من المحدثين ولا من رواة التفسير كعادته، وهي معارضة بما ورد في سبب نزولها من أنه الإستغفار لعبد الله بن أبي رئيس المنافقين وزعيمهم"[52].

فهل الرواية التي ذكرها الإمام الرازي هي كما قال عنها صاحب المنار أم لها حكماً آخر؟

مناقشة رأي الإمام الرازي:

ما ذكره الإمام الرازي في سبب نزول هذه الآية يرد عليه، وذلك لما ثبت من ضعف هذه الرواية ، وأيضاً هي خلاف ما ذهب إليه أكثر المفسرين[53]، والمحدثين ، فقد ذكر ا لإمام البخاري في تفسير هذه الآية هذا الحديث:عن ابن عمر رضي

الله عنهما: لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله تصلي عليه، وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما خيرني الله فقال: { ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ}، وسأزيده على السبعين " قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله:(وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ)[54].[55]

فمعنى الآية أن الله خير نبيه في هذا فكأنه قال له إن شئت فاستغفر لهم وإن شئت لاتستغفر، ثم أعلمه أنه لايغفر لهم وإن تستغفر لهم سبعين مرة وهذا هو الصحيح في تأويل الآية[56].

وأما ترجيح الإمام الرازي لهذا السبب فضعيف، لأن سبب النزول إنما يرجح بحسب قوة الرواية وصحتها وليس من أجل مناسبتها بالآية السابقة.والله أعلم.

اتضح لنا مما سبق، أن اعتراض صاحب المنار على الإمام الرازي كان في محله، إلا أن قوله أن سبب النزول هذه الآية هو الإستغفار لعبد الله بن أبي ليس في محله مخالف لما ذكر في الحديث من بيان المعنى الذي فهمه رسول الله عليه الصلاة والسلام من هذه الآية وهو التخيير، ولذلك صلى على رئيس المنافقين، فأنزل الله الآية التي تأمره عليه الصلاة والسلام بعدم الصلاة على المنافقين. فهذه الرواية المذكورة سابقاً ليست سبب نزول قوله تعالى:(ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) وإنما هو تفسير هذه الآية وسبب نزول قوله تعالى:(وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنهُم).

المبحث الثاني: تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في الناسخ والمنسوخ.

قبل أن نذكر الأمثلة للتعقيبات في الناسخ والمنسوخ نتعرف على معنى النسخ لغة وإصطلاحاً.

النسخ لغة[57]: الإبطال ومنه قول القائل: نسخت الشمس الظل إذا أبطلت، أو النقل ومنه: نسخت الكتاب إذا نقله من موضع إلى موضع ، أو الإزالة ومنه: نسخت الرياح الآثار أي أزالتها.

إصطلاحاً[58]: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر.

المثال:

قوله تعالى:(وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)[59].

يقول الإمام جلال الدين السيوطي عند تفسير هذه الآية:"وما صيرنا القبلة لك الآن الجهة التي كنت عليها أولاً وهي الكعبة، وكان صلى الله عليه وسلم يصلي إليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفاً لليهود فصلى إليه ستة أشهر أو سبعة أشهر ثم حول".[60]

عقب صاحب المنار على الإمام جلال بقوله:"إن قول الجلال مبني على قول الأقلين، وعلى حد قوله يكون النسخ قد حصل مرتين، ولن الأكثرون ذهبوا إلى أن المراد بالقبلة التي كان عليها بيت المقدس".[61]

فما المقصود بالقبلة في هذه الآية؟ وهل حصل النسخ في شأن القبلة مرة أو مرتين؟

إن العلماء اختلفوا في الجهة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوجه إليها للصلاة وهو بمكة على أقوال[62]:

1- كان يصلي إلى بيت المقدس، لكنه لا يستدبر الكعبة بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس.

2- كان يصلي إلى بيت المقدس .

3- كان يصلي إلى الكعبة، فلما تحول إلى المدينة استقبل بيت المقدس.

رجح الإمام ابن حجر القول الأول لأنه يجمع بين القولين، وذكر بأن هذا القول صححه الحاكم[63] أيضا، وضعف القول الأخير لأنه يلزم منه دعوى النسخ مرتين.[64]

ويؤيد القول الذي رجحه الإمام ابن حجر حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فهو صريح في ذكر قبلة الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة، قال:«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً، ثم صرف إلى الكعبة »[65].

ولكن ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما حديث آخر يعارض ما ذكره سابقاً، فعنه أنه قال:« لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة – واليهود أكثر أهلها- يستقبلون بيت المقدس، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس. ففرحت اليهود واستقبلها سبعة عشر شهراً. وكان رسول الله يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فكان يدعو وينظر إلى السماء....»[66].

فظاهر هذا الحديث يدل على أن استقبال بيت المقدس إنما كان بعد الهجرة إلى المدينة ، وأما الحديث السابق فيدل على خلافه، ويمكن الجمع بين الحديثين كما صرح بذلك الإمام ابن حجر بأن يكون أمر صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة أن يستمر على الصلاة إلى بيت المقدس.[67]

ووضح الإمام ابن كثير أيضاً كيفية الجمع بين هذه الآثار، حيث قال:"وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلي بين الركنين وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس ، قاله ابن عباس والجمهور"[68].

فالملاحظ هنا أن الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس في المدينة لم يكن نسخاً لما كان في مكة، بل هو أ مر بالإستمرار على القبلة التي كان عليها لمدة معينة إلى أن جاء حكم النسخ للقبلة.فهذا إن دل على شئ فإنما يدل على حدوث النسخ في أمر القبلة لمرة واحدة .

ويؤيد حدوث النسخ في أمر القبلة لمرة واحدة ما ذهب إليه الإمام الشافعي في "الرسالة" حيث قال:"ووجه الله رسوله للقبلة في الصلاة إلى بيت المقدس ، فكانت القبلة التي لا يحل – قبل نسخها – استقبال غيرها، ثم نسخ الله قبلة بيت المقدس، ووجهه إلى البيت، فلا يحل لأحد استقبال بيت المقدس أبدا لمكتوبة، ولا يحل أن يستقبل غير البيت الحرام"[69].

وبعد هذه الدلائل نصل إلى أن القول بحدوث النسخ مرتين ضعيف كما صرح بذلك الإمام ابن حجر، ثم إن أكثر الأصولين[70] عندما يتحدثون عن نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، فهم يقولون بنسخه مرة واحدة . فالقول بنسخه مرتين وإن لم يكن مستحيلاً في شأن الله عزوجل إلا أنه مخالف للأحاديث والآثار.

إذن ما ذهب إليه الإمام السيوطي مخالف لقول الجمهور.وكان تعقيب المنار فيه الحق والصواب.والله أعلم.

المبحث الثالث: تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في الخاص والعام.

في القرآن الكريم أحكام تعم جميع المكلفين بلا استثناء، وأحكام تخص فريقاً دون فريق. وهذا ما يعرف بالعام والخاص فما معنى هذين المصطلحين؟

العام[71]: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له.

والخاص[72]: إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام.

الآن نتعرف على الأمثلة التي تبين تعقيبات المنار في هذا النوع من علوم القرآن.

المثال الأول:

قوله تعالى:(مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا)[73] .

اختلف المتأولون في تفسير الشفاعة المذكورة في هذه الآية على أقوال[74]:

فقال مجاهد وغيره:هي شفاعات الناس بينهم وحوائجهم.

وقيل: الشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين، والشفاعة السيئة الدعاء عليهم.

وقيل: من يكن شفعاً لصاحبه في الجهاد يكن له نصيبه من الأجر.

فذهب الإمام جلال السيوطي إلى اختيار قول مجاهد وهو أن الشفاعة في الآية هي التي تكون بين الناس.[75]

ولكن الأستاذ محمد عبده أنكر ذلك وقال :" إن هذا التخصيص يذهب بما في الآية من القوة والحرارة ويخرجها من السياق والصواب، إنها أعم فالمقصود أولاً وبالذات الشفاعة المتعلقة بالحرب".[76]

ويوافق صاحب المنار قول أستاذه قائلاً: "إن العلماء متفقون على أن شفاعة الناس بعضهم لبعض تدخل في عموم الآية".[77]

مناقشة رأي الإمام السيوطي:

إن الشفاعة المراد بها في الآية هي عامة ويؤيد ذلك ما ذكره الإمام الطبري عند تفسير هذه الآية حيث قال :" غير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكر من الشفاعة في الجهاد أو شفاعة الناس بعضهم لبعض ثم عم بذلك كل شافع بخير أو شر".[78]

وجزم الإمام الرازي بأن هذه الشفاعة لا بد أن يكون لها تعلق بالجهاد وإلا صارت الآية منقطعة عما قبلها. فلو قصرت على المعاني الأخرى فذلك باطل وصارت الآية أجنبية عما قبلها، فالجائز دخول كل هذه المعاني في اللفظ، لإن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ.[79]

والذي ذهب إليه الإمام الرازي ذهب إليه الأستاذ محمد عبده من ترجيح الشفاعة المتعلقة بالجهاد ثم إدخال كل هذه المعاني في اللفظ هو الحل الأمثل.

أيضاً يؤيد القول بالعموم في معنى الشفاعة ما قاله أهل الأصول من أنه إذا دار الأمر في اللفظ بين العموم والخصوص، فإنه يحمل على عمومه لأن الأصل بقاء العموم.[80]

فالقول بالعموم مذهب السلف ومن بعدهم متوارث ذلك عنهم بالنقل المستفيض، وأنهم كانوا يجرون ألفاظ الكتاب والسنة على العموم، إلا ما دل الدليل على تخصيصه، فإنهم كانوا يطلبون دليل الخصوص لا دليل العموم.[81]

نستدل من هذا كله أن الحمل على الأعم أولى إذا لم يكن هناك دليل على الخصوص، فحمل الشفاعة في هذه الآية على الأعم هو الأولى لأن كلام الله عزوجل يحمل على الأعم حتى تشمل جميع المعاني المقصودة. وهذا الذي قصده

الأستاذ محمد عبده وتلميذه فكان تعقيبهما على الإمام السيوطي في محله.والله أعلم.

المثال الثاني:

قوله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا)[82].

الخطاب في قوله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ):هو عام، وقيل: خاص لأهل مكة.

ذهب الإمام السيوطي إلى أن الخطاب خاص بأهل مكة[83].

بينما صاحب المنار يرى بأن الخطاب عام ليس خاصا بقوم دون قوم، ويعقب على الإمام السيوطي بقوله: أنه لا وجه لتخصيصها بأهل مكة كما فعل المفسر (الجلال) لاسيما مع العلم بأن السورة مدنية إلا آية واحدة فيها شك، هل هي مدنية أم مكية؟[84].

مناقشة رأي الإمام السيوطي:

إن الخطاب في قوله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) عام لأن الألف واللام في (ٱلنَّاسُ) يفيد العموم[85]. وهو خطاب يعم حكمه جميع المكلفين عند النزول ومن ينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة ، لكن لا بطريق الحقيقة ، بل إما بطريق تغليب الفريق الأول على الآخرين وإما بطريق تعميم حكمه لها بدليل خارجي، فإن الإجماع منعقد على أن آخر الأمة مكلف بما كلف به أولها[86] .

ويمكن ترجيح عموم الخطاب هنا بالوجوه التي ذكرها الإمام الرازي:[87]

أولها: أن لفظ الناس جمع دخله ألف واللام وهو يفيد الإستغراق.

ثانيها: أنه تعالى علل الأمر بالإتقاء بكونه تعالى خالقاً لهم من نفس واحدة، وهذه العلة عامة في حق المكلفين بأنهم من آدم عليه الصلاة والسلام خلقوا بأسرهم ، وإن كانت العلة عامة كان الحكم عاماً.

ثالثها: أن التكليف بالتقوى غير مختص بأهل مكة، بل هو عام في حق جميع العالمين، وإذا كان لفظ الناس عاماً في الكل ، وكان الأمر بالتقوى عاماً في الكل ، وكان علة هذا التكليف وهي كونهم خلقوا من النفس الواحدة عامة في حق الكل، كان القول بالتخصيص في غاية البعد.

وهذه الوجوه التي قدمها الإمام الرازي في ترجيح عموم الخطاب في هذه الآية من أقوى الوجوه التي لا يبقى بعدها تعليل.

ولعل الذي جعل الإمام السيوطي يقول بخصوصية هذا الخطاب قوله تعالى:(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ)[88]، لأن العرب هم الذين يتساءلون بذلك، تقول العرب:أنشدك بالله وبالرحم ، ذكره أبوحيان[89].

ثم إن قول الإمام السيوطي بأن الخطاب لأهل مكة فغريب، لأنه ذكر في كتابه(الإتقان) أن سورة النساء مدنية وأولها (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ)، ورد على من قال عنها مكية مستدلاً بقوله:(إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ) نزلت بمكة اتفاقاً، واعتبر هذا الدليل واه، وحجته أنه لا يلزم من نزول آية وآيات من سورة طويلة نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية ، خصوصاً أن الأرجح أن ما نزل بعد الهجرة مدني، ومن راجع أسباب نزول آياتها عرف الر د عليه[90] .

والذي يرجح كون السورة مدنية، ما روي في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:{ **وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده** }[91]، تعني رضي الله عنها أنه قد بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خلاف بين العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بنى بعائشة –رضي الله عنها– بالمدينة [92]. ومن تبين أحكامها علم أنها

مدنية بلا شك فيها، وبعد أن عرفنا أن السورة مدنية ، ترجح لدينا أن يكون الخطاب عاماً وليس خاصاً لأهل مكة.

المبحث الرابع: تعقيبات المنار على مفاتيح الغيب والجلالين في مبهمات القرآن.

قبل البدء في دراسة هذه التعقيبات نتعرف على معنى المبهمات لغة إصطلاحاً.

المبهمات لغة[93]: جمع مبهم وهو اسم مفعول مشتق من الإبهام، والإبهام في اللغة: الخفاء، فيقال: ليل بهيم! لا ضوء فيه إلى الصباح، وأبهمت الباب: أغلقته. والطريق المبهم: إذا كان خفياً لايستبين. وأمر مبهم: لا مأتى له. واستبهم الأمر: استغلق.

إصطلاحاً[94]: كل لفظ ورد في القرآن الكريم من ذكر من لم يسمه الله فيه باسمه العلم، من نبي أو ولي أو غيرهم من آدمي أو ملك أو جني أو بلد أو كوكب أو شجر أو حيوان، له اسم علم أو عدد لم يحدد، أو زمن لم يبين أو مكان لم يعرف.

المثال الأول:

قوله تعالى :(**وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِأٓيَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ**...)[95].

يقول الإمام جلال السيوطي عند تفسير هذه الآية:" خلق لهم الخفاش، لأنه أكمل الطير خلقاً فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً.[96]

وقد نقل صاحب المنار في هذا المقام ما رد به استاذه على قول السيوطي حيث قال:" ولا حاجة إلى هذه التفصيلات، بل نقف عند لفظ الآية، وغاية ما يفهم منها أن الله – تعالى – جعل فيه هذا السر، ولكن لم يقل إنه خلق بالفعل، ولم يرد عن المعصوم أن شيئا من ذلك وقع وقد جرت سنة الله – تعالى – أن تجرى الآيات على أيدي الأنبياء عند طلب قومهم لها وجعل الإيمان موقوفا عليها، فإن كانوا سألوه شيئا من ذلك فقد جاء به، وكذلك يقال في قوله: وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فإن قصارى ما تدل عليه العبارة أنه خص بذلك وأمر بأن يحتج به، والحكمة في إخبار النبي – صلى الله عليه وسلم – بذلك إقامة الحجة على منكري نبوته كما تقدم، وأما وقوع ذلك كله أو بعضه بالفعل فهو يتوقف على نقل يحتج به في مثل ذلك.[97]

مناقشة رأي الإمام السيوطي:

إن كل نبي من أنبياء الله تعالى أرسل إلى قومه بعجزات من جنس ما برع فيه القوم، فنبي الله عيسى عليه السلام بعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، وآتاهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة، كخلق طير من الطين، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، والإخبار بالغيب، تلك هي معجزات عيسى عليه السلام والخوض في تفاصيلها وبيان دقائقها مما لم يذكر في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ثم إن البحث عنها لا تزيد إيماناً ولا تنقصه، فما ذكره الإمام السيوطي في بيان نوع الطير الذي خلقه عيسى عليه السلام وهو الخفاش، والذي يظهر على هذا القول أنه مما أدخله اليهود على التفسير، وتناقله مسلمة أهل الكتاب، فالأولى أن يترك أمر تعيينه ولنؤمن أنه خلق طيراً ما ولا حاجة إلى معرفته بالتحديد، ولو أن الأمر يبني عليه حكم شرعي لوقف المفسرون منه موقف العالم الناقد وبينوا حكمه بالتفصيل.

ومما يؤخذ على الإمام السيوطي أنه لم يورد هذه الرواية بأسانيدها ولم ينتقد هذه الرواية من ناحية صحتها وضعفها، ولم يبين أنها إسرائيلية. والصحيح أن يقال عند تفسير هذه الآية ما ذكره الإمام ابن كثير حيث قال:"كان عيسى عليه

السلام يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عياناً بإذن الله عزول الذي جعل هذا معجزة تد على أنه أرسله"[98].

إذن الحق ما ذهب إليه أستاذ محمد رشيد رضا-صاحب المنار- بأنه لا حاجة إلى ذكر مثل هذه التفاصيل بل يجب الوقوف عند لفظ الآية، وهذا هو المنهج الصحيح عند تفسير القرآن .والله أعلم بالصواب.

المثال الثاني:

قوله تعالى:(**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**)[99].

يقول الإمام السيوطي عند قوله تعالى:(فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ):" أرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضاً فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً".[100]

أنكر صاحب المنار على الإمام السيوطي تعيينه لعدد القتلى، وذكر بأن العبرة المقصودة من القصة لا تتوقف على تعيينه فنمسك عنه. وبين أن هذا هو مذهب أستاذه الإمام في جميع مبهمات القرآن يقف عند النص القطعي لا يتعداه، ويثبت أن الفائدة لا تتوقف على سواه.[101]

مناقشة رأي الإمام السيوطي:

هذه الرواية التي ذكرها الإمام السيوطي رواها أيضاً أغلب المفسرين في تفسيراتهم[102]، وكانت قريبة من هذا المعنى وأغلب الظن أنها من أخبار بني إسرائيل وتزيداتهم واختلافاتهم، وما روي منها عن بعض الصحابة والتابعين فمرجعه إلى مسلمة أهل الكتاب ككعب، ووهب وغيرهما وما أحسن ما قاله القاضي عياض في مثل هذا المقام:"لا تلتف إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب،الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين ، ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح"[103].

ولما لم تثبت هذه الأخبار بنقل صحيح من الكتاب والسنة، وجب علينا أن لا ندخل في تفاصيلها بل نقف عند النص القرآني.

ومما ينتقد على الإمام السيوطي في هذه الرواية أنه لم يعز الإسرائيليات المذكورة إلى مصادرها ولم يوردها بأسانيدها ،ولم يشر إلى كون الأثر المذكور رواية إسرائيلية .ثم إنه لم ينتقد هذه الرواية من ناحية ضعفها وبطلانها ، والحق في ذلك ما قاله صاحب المنار، لأن البحث في مثل هذه الأمور فيه إضاعة للوقت، ولا ثمة فائدة دينية أو دنيوية تعود من البحث فيها، فالأفضل أن نسكت عنها .

الخاتمة:

1. يمكن تقسيم تفسير المنار إلى قسمين: قسم كتب في حياة الشيخ محمد عبده، وقسم كتب بعد وفاة الشيخ محمد عبده.
2. المنهج المتبع في هذا التفسير منهج هدائي، وذلك من خلال ربط التفسير بالواقع المعاصر، ومراعاة أحوال المسلمين وتقديم الحلول لمشاكلهم من القرآن الكريم.
3. الأثر الكبير الذي خلفه الأستاذ محمد عبده على تلميذه محمد رشيد وهذا ما لاحظناه من خلال معالجة هذه التعقيبات.
4. تميز الشيخ محمد رشيد رضا من بين المفسرين المعاصرين أنه لم يكتفي بنقل أقوال السابقين، بل نقلها مع النقد

عليها.

5. لم يقتصر صاحب المنار بالتعقيب على الإمام الرازي والإمام السيوطي، بل شملت أكثر المفسرين ، وتم إختيار المفسِّرين السابقين لكثرة التعقيبات عليهما.
6. تميزت هذه التعقيبات بالوضوح والسهولة والإختصار والبعد عن التعقيد والإطناب .
7. قد أصاب صاحب المنار في أكثر هذه التعقيبات، وأصاب أيضاً بردود قوية في بعض الأحيان، وأخفق في أحياناً أخرى.
8. مكانة المفسرين القدامى وعلو كعبهم بحيث لا يستطيع أحد مضاهاة علمهم ولكن وجود التعقيبات عليهم دليل على أنهم بشر يخطئون، وأن الكمال لله عزوجل،وأيضاً هذا لاينقص من قدرهم ومن قدر تفسيرهم .
9. قد أجاد الشيخ محمد رشيد رضا عند الحديث في مبهمات القرآن بأن البحث فيها إضاعة للوقت، ولا فائدة دينية أو دنيوية تعود منها، فالأفضل السكوت فيها.
10. يرجح الشيخ محمد رشيد مع أستاذه القول بالعموم وينكر التخصيص الغير مدلل، إتباعاً لمذهب السلف فإنهم كانوا يطلبون دليل الخصوص لا دليل العموم.

المصادر و المراجع

[1] – سورة النحل/44.

[2] – نسبة إلى القلمون وهوموضع يلى غوطة دمشق.(معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد أبو عبيد البكري الأندلسي، 1092/3، ط 1403/3هـ، عالم الكتب، بيروت)

[3] – الأعلام، خير الدين الزركلي، 126/6، دار العلم للملايين، بيروت.

[4] – منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ص172، ط1407/3هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[5] – ستأتي ترجمته.

[6] – انظر المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر، عبد المتعال الصعيدي، ص539، مكتبة الآداب بالجمايز الشابورة-الحلمية الجديدة.

[7] – انظر التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور،202-205، ط/1999م، دار سحنون، تونس.

[8] – منهج المدرسة العقلية، فهد الرومي،ص 173.

[9] – انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة،58/4، ط/ 1414هـ-1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.

[10] – انظر الأعلام 185/7-186.

[11] –الأعلام ، الزركلي، 236/2.

[12] – معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، 38/1، قدم له: الشَّيْخ حسن خالد، ط3، 1409هـ- 1988م، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت — لبنان.

[13] – معجم المؤلفين ، محمد رضا كحالة، 220/6.

[14] – حاضر العالم الإسلامي، لو تروب ستودارد الأمريكي، ترجمة: عجاج نويهض، 284/1، بدون سنة الطبع،دار الفكر، بيروت. وفي الكتاب فصول وتعليقات عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها بقلم شكيب أرسلان.

[15] – الزركلي، 126/6.

[16] – السيد محمد رشيد رضا إصلاحاته الإجتماعية الدينية، محمد أحمد درنيقة، ص 33، ط 1406/1هـ-1986م،مؤسسة الرسالة،دار الإيمان.

[17] – مقدمة تفسير القرآن الحكيم الشهير ب"تفسير المنار"، محمد رشيد رضا،15/1، ط2، دارالفكر.

[18] – المصدر السابق 17/1.

[19] – مقدمة تفسير المنار 10/1.

[20] – انظر مقدمة تفسير المنار 157/1.

[21] – التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي، 386/2، بدون ذكر الطبعة، دار الأرقم بن أبي الأرقم.

[22] – انظر مقدمة تفسير المنار 16/1.

[23] – معالم التجديد في تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، بوحلوفة بدور، ص 31، إشراف الأستاذ: بلعلياء محمد،رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

[24] – انظر تفسير المنار 11/2.

[25] – المصدر السابق 56/2.

[26] – التفسير والمفسرون 407/2.

[27] – انظر تفسير المنار 172/3.

[28] – انظر المصدر السابق 147/9.

[29] –التفسير والمفسرون 402/2-403.

[30] – انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، 807/2-847، ط1407/1هـ-1986م، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، السعودية.

[31] – تفسير المنار 419/6.

[32] – المصدر السابق 340/3.

[33] – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، 77/4،تحقيق: عبد السلام محمد هارون سنة النشر: 1399هـ - 1979م،دار الفكر.

[34] – مقاييس اللغة، ابن فارس،77/4-78 مادة"عقب".

[35] – أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، 180/1 مادة"عقب"،تحقيق: محمد عوض مرعب، ط 1، 2001م، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[36] – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي،186/1، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط1407،4 هـ - 1987 م، دار العلم للملايين – بيروت.

[37] –سورة الرعد،آية 11.

[38] – سورة الرعد،آية 41.

[39] – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى،ص 575،تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط 1، 1412، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت.

[40] – انظر: أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى،612/1 مادة "عقب"، ط1414،3 هـ، دار صادر – بيروت.

[41] – مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزقاني،89/1، ط 1416/1هـ-1996م،دار الفكر، بيروت-لبنان.

[42] – مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص 77-78، ط1417/2هـ-1996م، مكتبة المعارف- الرياض.

[43] – سورة البقرة /177.

[44] – تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي(و) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص 36، ط1، دار الحديث – القاهرة.

[45] – تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا ،109/2، ط2، دار الفكر.

[46] – انظر: تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، 66/1، ت: مصطفى مسلم محمد ، ط1410/1هـ-1989م، مكتبة الرشد- الرياض. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي، 364/1، ط1418/1هـ-1997م، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.وذكر مثله أبي حاتم في"تفسير القرآن العظيم"،287/1، ت: أسعد محمد الطيب، ط1417/1هـ-1997م، مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة – الرياض.

[47] – جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، 56/2، ط /1409هـ-1989م، دار المعرفة ، بيروت- لبنان.

[48] – انظر هذه الروايات في: تفسير الطبري، 338/3،ط 1420،1 هـ – 2000 م، مؤسسة الرسالة.

[49] – سورة التوبة/80.

[50] – سورة التوبة/79.

[51] – مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبد الله التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، 147/16، ط1420/3هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وذكر هذه الرواية الإمام ابن الجوزي في"زاد المسير في علم التفسير،أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، خرّج أحاديثه:أحمد شمس الدين، ط 1414،1هـ-1994م، دار الكتب، بيروت- لبنان"365/3، ولكنه زاد على أنها من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وكذلك تناولها الآلوسي في"تفسيره"148/5. وذكرها صاحب تفسير" اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل أبو الحفص الدمشقي، 157/10، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وزملائه، ط1419/1هـ-1998م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان. ولم يذكرها أحد من المفسرين بالمأثور، أمثال الإمام عبد الرزاق ، والإمام الطبري، وابن أبي حاتم ، وابن كثير، والسيوطي. ولم أقف على سند هذه الرواية إلا ما وجد في تفسير"زاد المسير" لابن الجوزي من أنها من رواية أبي صالح عن ابن عباس: وأبو صالح هذا إن كان هو باذام أو يقال: باذان، مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، وروى عن علي وأبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهم، وعامة ما يرويه تفسير ولم يرضه أحد من المتقدمين، ولم يوثقه أكثر علماء الجرح والتعديل.وقال الكلبي: قال لي أبو صالح :كلما حدثتك كذب.وقيل أنه يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه.(انظر تقريب التهذيب 263/1).

إذن هذه الرواية ضعيفة . وإن كان أبو صالح غير هذا الذي ذكرناه فلا نعرف الراوي الذي يروي عنه اي لا نعرف تلميذه حتى نحكم عليه ، فيكون أبو صالح مجهول والرواية ضعيفة .

[52] – تفسير المنار 568/10.

[53] – انظر:تفسير ابن أبي حاتم 1853/6-1854، وتفسير الوسيط ،الواحدي، 515/2، وتفسير ابن كثير 390/2، الدر المنثور، السيوطي، 254/4.

[54] – سورة التوبة/84.

[55] – أخرجه البخاري في"صحيحه"كتاب التفسير، باب (ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ) ، 67/6، ح 4670.

[56] –تفسير البغوي 201/3.

[57] – انظر لسان العرب، ابن منظور، 121/14 مادة" نسخ".

[58] –كشف الأسر ار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري ، 156/3، دار الكتاب العربي.

[59] – سورة البقرة/143.

[60] – تفسير الجلالين ص 29.

[61] – تفسير المنار 7/2.

[62] – انظر فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، 96/1، تصحيح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء- المملكة العربية السعودية.

[63] – مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، 268/2، ووافقه الذهبي على تصحيحه"التلخيص مع المستدرك"، دار المعرفة – بيروت.

[64] – انظر فتح الباري، 96/1.

[65] – أخرجه أحمد في"مسنده، دار صادر، بيروت " 325/1. وصحح ابن حجر في"فتح الباري" إسناده 96/1. وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد ،ط 1402/3هـ-1982م، دار الكتاب العربي-بيروت" 12/2 ثم قال:" رواه أحمد والطبراني في "الكبير" والبزار، ورجاله رجال الصحيح".

[66] – فتح الباري ،502/1.

[67] – المصدر السابق 205/1.

[68] – تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير أبو الفداء القرشي، 195/1، ط/1407هـ-1986م، دار الفكر.

[69] – الرسالة، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف أبو عبد الله الشافعي، ص120، ت:أحمد شاكر، ط1358/1هـ-1940م، مكتبه الحلبي- مصر.

[70] – انظر في ذلك: الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أبي علي بن محمد أبو الحسن الآمدي، 210/3،دار الحديث- مصر. وأصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، 76/2، دار المعرفة – بيروت.والمحصول، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبد الله التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، 340/3،ت: جابر فياض العلواني، ط 1418/3هـ-1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.و

[71] – الإحكام للآمدي، 286/2،والمحصول للرازي 309/2.

[72] – المحصول للرازي 7/3.

[73] – سورة النساء/85.

[74] – الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد أبو عبد الله الأنصاري القرطبي،295/5، ط1372/2هـ- 1952م، دار الفكر.

[75] – تفسير الجلالين ص 115.

[76] – تفسير المنار 308/5.

[77] – المصد السابق 308/5.

[78] – تفسير الطبري 117/5.

[79] – انظر مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبد الله التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، 10/ 207،ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[80] – شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير أو المختبر شرح المختصر في أصول الفقه، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار، 295/1، ت: محمد الزحيلي و نزيد حماد ، ط 1400هـ-1980م، دار الفكر، دمشق.

[81] –كشف الأسرار، البزدوي، 303/1.

[82] – سورة النساء،آية، 1.

[83] – تفسير الجلالين، ص 97.

[84] –تفسير المنار 322/4.

[85] – البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي،493/3،ط، 412 1هـ-1992م،دار الفكر، بيروت-

[86] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ،475/1، بدون طبعة، دار الفكر.

[87] – مفاتيح الغيب، 81/9.

[88] – سورة النساء،آية،1.

[89] – البحر المحيط،ج 3،ص 493.

[90] – الإتقان في علوم القرآن، ص 16.

[91] – كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، 158/6،ح 4993 جزء من حديث.

[92] – تفسير القرطبي، 1/5.

[93] – تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد أبو عبد الله الأزهري الهروي، 177/6، تعليق: عمر سلامي، ط1421/1هـ-2001م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[94] – تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل، محمد بن علي أبو عبد الله البلنسي، 35/1، ت: حنيف بن حسين القاسمي، ط1/ 1411هـ-1991م، دار العرب الإسلامي، بيروت.

[95] – سورة آل عمران/49.

[96] – تفسير الجلالين ص 72،وقد أخرج هذه الرواية الإمام الطبري في" تفسيره" 191/3 عن ابن جريج بألفاظ مختلفة، ونسبها ابن الجوزي في"زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج الجوزي، ط 1414/1هـ-1994م، دار الكتب ، بيروت-لبنان" 318/1 إلى ابن عباس وسعيد الخدري رضي الله عنهم ووهب بألفاظ مقاربة.

[97] – تفسير المنار 311/3.

[98] –تفسير ابن كثير 373/1.

[99] – سورة البقرة/54.

[100] – تفسير الجلالين ص 12.

[101] – تفسير المنار 320/1.

[102] –انظر:تفسير ابن أبي حاتم 110/1، ومعالم التنزيل ، محمد بن الحسين بن مسعود الفراء البغوي، 74/1، ت:خالد بن عبد الرحمن العك، ط1406/1هـ-1986م، دار المعرفة، بيروت-لبنان، وتفسير ابن كثير 96/1، وكذا أخرجه الطبري في"تفسيره"227/1 عن ابن عباس –رضي الله عنهما-والسدي وغيرهما بألفاظ مختلفة.ورواية ابن عباس كما ذكرها الإمام الطبري حيث قال:حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: حدثنا إبراهيم بشار، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: قال أبو سعيد:عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال موسى عليه السلام لقومه:(فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ...) ، قال: أمر موسى عليه السلام عن أمر ربه عزوجل أن يقتلوا أنفسهم. قال: فاختبأ الذين عكفوا على العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل وأخذوا الخناجر بأيدهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضاً، فانجلت الظلمة عنهم وقد جلوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت توبة. فهذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف، لإن فيه أبو سعيد لم أستطع تحديده فهو مجهول. أما رواية السدي التي ذكرها الإمام الطبري تتناول قصة قوم موسى عليه السلام وعبادتهم للعجل ، وكان جزاء عملهم هذا أن أمروا بقتل أنفسهم، فنجم عن هذا القتل سبعين ألف قتيل .(انظر تفاصيل الرواية في تفسير الطبري227/1).

وقد علقت الباحثة آمال عبد الرحمن على هذه الرواية قائلة:" إن رواية السدي هذه تتفق مع النص العبري في أن التقاتل بين بني إسرائيل بعضهم البعض جاء نتيجة لفعلتهم النكراء، ولكن النص العبري حدد عدد الضحايا بثلاثة آلاف، وأما الأثر فبالغ مبالغة شديدة وجعل الشهداء سبعين ألف".(الإسرائيليات في تفسير الطبري ، ص 456، ط/ 1420هـ-2000م،دار الثقافة العربية، القاهرة).فاعتبرت الباحثة هذه الرواية من ضمن الإسرائيليات الموجودة في تفسير الطبري، ونسبت إلى بعض الصحابة والتابعين-رضوان الله عليهم-ترويجا لها. والله أعلم بالصواب.

وأحب أن أؤكد هنا ما ذكره العلماء: من أن قوة السند لا تنافي كونها مما أخذه ابن عباس رضي الله عنهما عن كعب الأحبار وأمثاله من مسلمة أهل الكتاب .فثبوتها في نفسها لا ينافي كونها إسرائيليات بني إسرائيل وخرافاتهم وافتراءاتهم على الأنبياء.(الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن أبو شهبة ، ص 272، مكتبة السنة).

[103] – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة،286.